العرب
الأربعاء 2020/03/11
السنة 42 العدد 11643

التاريخ يشبه المسكن.. لا ينبغي هدمه بالأكاذيب

«أسماء الزهور» للمخرج الإيراني بهمن تافوسي فيلم عن الذاكرة بين الأسطورة وتزييف الحقيقة

شارك فيلم "أسماء الزهور" بلغته الإسبانية في مهرجان أسوان الدولي لأفلام المرأة في دورته الأخيرة، بنسخة مترجمة إلى العربية. وقد حاز تنويها خاصا من لجنة التحكيم وفاز بجائزة الجمهور. وهو أول الأفلام الروائية الطويلة للمخرج الإيراني بهمن تافوسي الذي أخرج فيلمه الوثائقي الطويل "بروفة من أجل التنفيذ" (2013) الحاصل على عدة ترشيحات وجوائز من أكثر من خمسين مهرجانا سينمائيا.

ضبابية الصورة كضبابية الواقع

سمية عزام
كاتبة لبنانية

يجسّد الفيلم الروائي الطويل "أسماء الزهور" للمخرج بهمن تافوسي فكرة تُعنى بما تجذّر في الذاكرة الشعبية عن حكايات من نسج المخيّلة تُحكى على أنّها حقيقة مقدّسة حول شخصية الثائر الكوبي تشي غيفارا. جاء التركيز على فكرة مكثّفة تصويريا تخصّ المرأة في محاولة انتسابها للتاريخ من خلال اقترانها بهذه الشخصية الأيقونة.

وفي مشاهد مكررة وشبه صامتة، تتقدّم الصورة إزاء تراجع الحوارات، في اقتصاد حكي بيّن في رؤية سينمائية مقصودة. يتخلّل المشاهد والحوارات صوت الراوي في الخلفية.

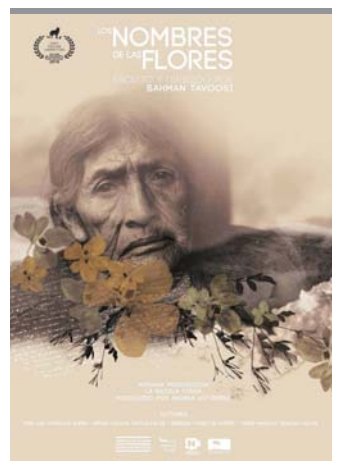

الفيلم يركز على فكرة مكثفة عن المرأة في محاولة انتسابها للتاريخ باقترانها بشخصية تشي غيفارا الأيقونة

والقصّة ليست قصة زعيم "حرب العصابات" الطبيب والشاعر المتمرّد تشي غيفارا، فهو لا يظهر إلاّ في مشهد وحيد لصورتين عملاقتين توثّقان حدث/ حقيقة موته، إنما هي قصة المدرّسة الريفية البوليفية جوليا التي قدّمت له طبق حساء في أثناء أسره في المدرسة المتهالكة قبيل إعدامه. وتدّعي أنّه قرأ عليها قصيدة "أسماء الزهور"؛ هذا دأبها منذ خمسين عاما، بالارتزاق ممّا تروي زورا لتلامذة المدرسة والسوّاح الذين يقصدون القرية النائية للتبرّك بمياه البحيرة المقدّسة.

قصة مشتركة

تبدأ أحداث الفيلم (إنتاج مشترك بوليفي، كندي، أميركي 2019) في زمن استعداد الحكومة البوليفية للاحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة أرنستو غيفارا (14 يونيو 1928/ 9 أكتوبر 1967)، في مبنى المدرسة الذي اعتقل فيه؛ وذلك بعد اكتشاف القرية القريبة من لا هيغويرا، حيث قابل الزعيم الكوبي المدرّسة جوليا (جوليا كورتيز) لتقدّم له الحساء في صبيحة 9 أكتوبر.

كان من ضمن برنامج الاحتفال أن تشارك السيدة العجوز قصّتها التاريخية مع الزوّار القادمين من مختلف أنحاء العالم، إنّما المفارقة أنها، وعلى الرغم من سردها القصة نفسها على مدى عقود، يتبيّن للمنظّمين أن نساء ريفيات أخريات يتقدّمن بالقصة نفسها، قصة "الحساء والزهرة" على أنها قصة كلّ منهنّ الخاصة. لتبدأ رحلة تقصّيهم حقيقة المدرّسة والحكاية على حدّ السواء، بعد منعها من المشاركة في الاحتفال، وملاحقة الشبان الذين يسهمون في تشويه السياحة باختلاق الأكاذيب حول البحيرة التي باركها تشي غيفارا.

يصوّر الفيلم، سيناريو وإخراج الإيراني بهمن تافوسي، والمقيم في كندا، مشاهد في حركة بطيئة كأنها لوحات مرسومة، أو صور فوتوغرافية للطبيعة والوجوه الصامتة، حتى وإن تكلّم أصحاب هذه الوجوه. كأنّ عين الكاميرا نافذة على التاريخ، ومسبار للعمق الإنساني.

الشخصية المحورية هي شخصية جوليا المدرّسة العجوز من السكان المحليّين، لا تتقدّم بأي كلمة أو تعبير في وجهها، بل تصوّر في مشاهد محدودة في كوخها، تعدّ الحساء وتحضر الخبز من كوّة مطبخها، وفي حركتها المتباطئة طوال الطريق الجبليّة الوعرة، في ذهابها اليومي إلى المدرسة بمبناها المتآكل، والماثلة منذ عقود، مرورا بهيكل سيارة صدئ وإطارات مطّاطية، يرافقها ابن جارتها المضطرب عقليا، وهو يمسك بصورتها حين كانت شابة.

وهي تحمل بيمناها جرة تحوي زهرتين وبيسراها وعاء فخاريا للحساء الذي أعدّته، بوصفهما شاهدين حسيّين يرافقان قصتها أمام التلامذة، وأمام الجمهور الذي لا نراه. إنما نرى تحضيرات الجنود للمنصة والكراسي ولرفع صورتين للمحتفى به إزاء بوستر يعلن الحدث "الذكرى الخمسين لوفاة الرفيق غيفارا".

يبرز الفيلم إذن، أنه فيلم صورة بامتياز، بما تختزنه من محمولات دالة لا تحتاج إلى الإفصاح بوساطة الكلمة عن رؤية المخرج؛ وتقنيات تصوير مشغولة بإحكام، بحيث تتناوب صور الأمكنة الريفية، في لقطات بانورامية تارة للجبال والأكواخ ومكان الاحتفال، وأخرى مضاعفة لأجزاء وتفاصيل من مبنى المدرسة، لغرفة الصف، ولمقعد دراسيّ منفرد، وللنافذة، ولرف خشبيّ فارغ توضع عليه صورة المدرّسة ومزهريتها ووعاء الحساء، ثم نراه خاليا.

وللوح الأسود حيث كتب عليه عنوان القصيدة "أسماء الزهور"، ومحى أبرز المنظّمين الكتابات بعد اكتشافهم أنّ الحكاية من نسج الخيال.. في لعبة تصوير للظهور والاختفاء، الكتابة والمحو، الوضوح والضبابية.

وفي كوخ المدرّسة، لقطات تثبت على مجموعة متنوّعة من الخضار معدّة لتحضير الحساء، وكوّة رصّفت على حافتها أرغفة خبز تبدأ بالتناقص شيئا فشيئا ليبقى في مشهد الختام رغيف واحد لعجوز وحيدة بغير حكاية؛ إذ منعت من سردها بعد ظهور جوليا الحقيقيّة التي تسرد حكاية تقديمها الحساء لغيفارا، من غير أن يلقي عليها قصيدة "أسماء الزهور" على الإطلاق.

رمزية الزهور

لعلّ بعض المشاهد تُعبّر عن رؤية الفيلم. منها مشهد أحد المنظّمين البارزين للاحتفال، في سعيه للوصول إلى عنوان المدرّسة الحقيقية جوليا، حيث يرشو أحد الشبّان لتزويده بالمطلوب، ويسأله في لقائهما على ضفة البحيرة عن سبب تقديس مياهها من قبل المحلّيّين، وعن ثمن الزجاجة المعبّأة منها والمعدّة للبيع.

وفي تعقيب لاحق على إجابة الفتى بأن مياه البحيرة تشفي من عدة أمراض وتمنح السعادة لشاربها، وتساعد النساء على الزواج من الرجل الطيّب وعلى الحمل، يدلي لمرافقه بأنّ هذا الخداع والتزييف سبب تأخّر مجتمعهم وبلادهم. كأنّه يقول "ما الذي بقي من مساعي غيفارا؟". هذا القول يتعاضد مع فكرة الفيلم الذي يطرح قضية الإيهام وتصديق الخرافة في بعدها النفسي، وقضية الميراث الأسطوري الشعبي في بعده الاجتماعي في البيئة اللاتينية الحاضنة. غير أنّ اللافت هو القمع العسكري المتمثّل في تفريغ القرية من شبّانها، وترك النسوة وحيدات، ومنعهنّ من مقابلة الزوّار وسرد الحكايات المزيّفة عليهم في محاولة لإصلاح هذا المجتمع.

صوت المذياع يرافق صورة منظّم الاحتفال في سيّارته عبر دروب القرية، يخبر عن إنجازات الحكومة بتأسيس المصانع لتأمين فرص عمل بدلا من امتهان سياحة غير نظيفة. كما يخبر الكولونيل العجوز في أحد لقاءاته بها عن السجن الذي يشبه المستشفى والمدرسة؛ إذ وزّع الآلات الموسيقيّة على المساجين.

إدراج ثيمة الزهور في عنوان الفيلم، بوصفها عنوان قصيدة لغيفارا، يطرح سؤالا عن إمكان وجود قصيدة له بهذا العنوان، وعن رمزية الزهرة. بهشاشتها وجمالها قد تحيل إلى المرأة نفسها، وإلى شِعار "للجميع خبز وزهور".

وخير دليل على ترسّخ النمطيّة والمحدوديّة في المجتمع التقليدي إدراج حديث الكولونيل مع العجوز في مشهد لا تظهر فيه، داخل كوخها، بل يبرز المتحدّث بصوته الهادئ موضّحا أهمية التاريخ الذي يشبه المسكن فلا ينبغي هدمه بالأكاذيب، لكن في المشهد الأخير تصوّر العجوز عائدة إلى المدرسة بإناء الحساء ومزهريّتها لتواصل سرد حكايتها حالما انتهى الاحتفال.

ثلاثة تونسيين يسافرون عبر الزمن في رحلة كوميدية

مروى الساحلي

تونس – اعتبره النقاد توجها جديدا في السينما التونسية بالتخصص في الأفلام الكوميدية التي قطعت مع مرحلة من السينما الملتزمة، إنه فيلم "مشكي وعاود"، الذي نزل مؤخرا في قاعات السينما التونسية ليحقق إيرادات عالية ونسب مشاهدة مرتفعة.

واحتضنت قاعة الكوليزي بالعاصمة تونس عرض الفيلم لمخرجه قيس شقير، وهو من بطولة نجوم الكوميديا التونسية بسام الحمراوي وجعفر القاسمي وكريم الغربي.

الفيلم الذي استغرق إنجازه قرابة السنة يعدّ العمل السينمائي الأول في مسيرة المخرج قيس شقير الذي أخرج عدة مسلسلات كوميدية من بينها "الهربة" و"إلي ليك ليك" و"دنيا أخرى".

و"مشكي وعاود" هو لفظ يطلق على لعبة "الورق" عند انتهاء كل جولة وبعثرة الأوراق وخلطها من جديد والانطلاق في جولة ثانية، ولكل شخص حظه. وهذا ما حصل مع هؤلاء الثلاثي في الفيلم حيث توقفت حياتهم في ليلة من ليالي شتاء سنة 2019 عندما تعرضوا لعملية سطو مسلح من قبل عصابة تتزعمها امرأة تدعى "سوسو" في غابة خالية من الناس وجردتهم من أموالهم وحتى من ملابسهم.

في تلك الليلة، حدثت ظاهرة طبيعية غريبة من نوعها وظهر في وجوههم شعاع أبيض اللون فأعادهم الزمن إلى ما قبل الثورة في سنة 2009 في عهد زين العابدين بن علي.

وفي بداية الفيلم جسد كريم الغربي دور المتطرف دينيا "الأمير أبوخنجر" الذي يتاجر بالدين ويكفر من يشاء ويهدي من يشاء، وجعفر القاسمي "ربيع" جسد دور الرأسمالي الثري الفاسد المختنق بالديون. أما بسام الحمراوي فقد تقمص دور النقابي والمدافع عن حقوق العمال "حمودة" والمتزوج بـ"أسماء باركينغ" التي جسدت دورها الممثلة جوليا الشواشي.

ولخص هذا المشهد الواقع الحاصل في تونس حاليا والذي تقسمه الأيديولوجيات وتحكمه السياسة وتتقاذفه صراعات الهوية.

لكن بالعودة إلى سنة 2009، صدم الثلاثي بحقيقتهم المرة، فالأمير أبوخنجر وجد نفسه قبل الثورة ذلك الشخص الملقب بـ"قعموزة" المنحرف وبائع الخمر خلسة.

أما القاسمي فوجد نفسه منخرطا في حزب التجمع التابع لرئيس تونس الأسبق زين العابدين بن علي وهو مجرد مخبر ومتملق، أما الحمراوي وجد نفسه ذلك الشيوعي الذي كانت تخونه حبيبته.

وحاول سيناريو الفيلم أن ينبش النفاق الاجتماعي الذي يتظاهر به البعض وأن يثير عديد القضايا بطريقة كوميدية بحتة كالتعصب والإرهاب والفساد والعنف والإجرام والاستغلال والشذوذ الجنسي.

ويصنف الفيلم في خانة "الكوميديا السوداء" التي تعالج قضايا الواقع الراهن، ولكن بطريقة ساخرة تجعل الجمهور يضحك على آلامه.

ورغم ذلك لم يخل الفيلم من المشاهد الدرامية ذات البعد التراجيدي التي جعلت الجمهور يتأثر حد البكاء، مثل مشهد عودة جعفر القاسمي إلى منزل والدته ووجدها على قيد الحياة، بعد أن ظن نفسه قد فقدها.

الفيلم قدم أيضا صورة تعكس التفاصيل الجديدة التي أصبح المجتمع التونسي يحملها بعد عشر سنوات من اندلاع شرارة الثورة. وبعودتهم إلى ماضيهم، اكتشف هؤلاء الثلاثي واقعهم الأصلي لذلك أرادوا أن يقلبوا قواعد اللعبة وإعادة خلط الأوراق من جديد.

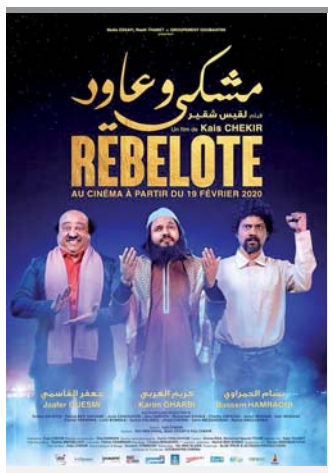

الفيلم حاول أن ينبش النفاق الاجتماعي الذي يتظاهر به بعضهم وأن يثير عديد القضايا بطريقة كوميدية

فالقاسمي أراد ألا تندلع الثورة وحاول أن ينبه الرئيس بن علي بأن ثورة ستحدث في بداية سنة 2011، كما حاول أن يمنع محمد البوعزيزي رمز الثورة التونسية من حرق نفسه، لكنه لم يستطع ذلك.

وأقدم كريم الغربي على الإمضاء على صكوك بدون رصيد واقتناء سلع مخصصة للبناء بأسعار خيالية، لأنه متأكد من أنه بمجرد اندلاع الثورة سيتم الإفراج على مساجين "الشيكات" مثلما حصل سابقا.

أما بسام الحمراوي فباع مبادئه وتنازل عن حقوق العمال في سبيل الحصول على أموال من صاحب المصنع مقابل إخماد صوته، كما حاول أن يبتعد عن حبيبته الخائنة كي لا يتزوجها من جديد.

بخلط الأوراق من جديد انقلب حالهم وتغيرت مكانتهم حيث أصبح كريم الغربي برجوازيا ورجل أعمال ثري وجعفر القاسمي أصبح أميرا سلفيا وبسام الحمراوي أصبح ذلك النقابي المتخلي عن مبادئه. وبين هذه التحولات، مرر كاتب السيناريو سليم بن إسماعيل مشاهد مضحكة اعترضت هذا الثلاثي خلال رحلتهم في الفيلم، ولقائهم بشخصيات ثانوية.

وعلى امتداد ساعتين من الزمن، تفاعل الجمهور مع كل مشهد مرة بالتصفيق ومرات بالضحك إعجابا بالمشاهد الساخرة والكوميدية للفيلم.

منتجون سينمائيون خائفون

لوس أنجلس (أميركا) – نظمت شركة والت ديزني العرض الأول لفيلم الحركة "مولان" الإثنين، ماضية قدما في سبيل طرح العمل بدور السينما رغم أن انتشار فايروس كورونا سيبقيه بعيدا عن الصين، ثاني أكبر سوق للأفلام السينمائية، لأجل غير مسمى.

وفي الوقت الراهن قررت شركات الإنتاج أنه من الضروري استمرار عرض الأفلام في دور السينما بمعظم أنحاء العالم. والاستثناء الرئيسي من هذا هو فيلم جيمس بوند الجديد "نو تايم تو داي" (لا وقت للموت) الذي أجله المنتجون من أبريل إلى نوفمبر القادم.

ويراقب التنفيذيون في شركات الإنتاج عن كثب انتشار فايروس كورونا وجدول مواعيد الأفلام القادمة. ومن المقرر أن ينطلق موسم الصيف السينمائي المزدحم في الأول من مايو بفيلم "بلاك ويدو" (أرملة سوداء) من سلسلة أبطال مارفل الخارقين لشركة ديزني، يليه جزء جديد من سلسلة "فاست آند فيوريوس" (سريع وغاضب) لشركة يونيفرسال التابعة لكوماكاست كورب ثم جزء جديد من سلسلة "توب جان" لشركة بارامونت بيكتشرز التابعة لفياكوم، وبعدها أفلام ضخمة الميزانية.

لكن إذا أبقى فايروس كورونا الناس بالمنازل أو أدى لإغلاق المزيد من دور السينما، فسيهدد ذلك عائدات الأفلام خلال أكثر مواسم هوليوود ربحا. فقد أغلقت دور السينما أبوابها في أنحاء الصين وإيطاليا وأجزاء من فرنسا.

وقال جيف غولدشتاين مسؤول التوزيع المحلي في وارنر برادرز للإنتاج السينمائي التابعة لشركة "آيه.تي.آند.تي" إن الوضع يضع شركات الإنتاج في "موقف غير مألوف".

> إذا أدى فايروس كورونا إلى إغلاق مزيد من دور السينما، سيهدد ذلك عائدات الأفلام خلال أهم مواسمها

وأضاف أن وارنر برادرز لم تؤجل طرح أي من أفلامها "لكننا منفتحون. سنضع كل شيء في الاعتبار ونرى كيف تسير الأمور".

وقال الاتحاد الوطني لملاك دور السينما إن عرض الأفلام لا يزال آمنا من الناحية الصحية في معظم المناطق وستظل دور السينما مفتوحة "وفقا للضوابط المحلية".

ومن المتوقع أن يبدأ عرض فيلم "مولان" في الولايات المتحدة يوم 27 مارس الجاري، وهذا العمل الذي ينتظره عشاق السينما هو النسخة الحية من فيلم الرسوم المتحركة الشهير الذي يحمل نفس الاسم. وقد بلغت تكلفة الفيلم الجديد 200 مليون دولار.